بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنه ظاهرة تستحق التأمل: شيخ أزهرى يصبح نجماً، محلاً لثقة ملايين المسلمين حتى وإن اختلفوا معه فى بعض رؤاه الفقهية، يحاور الجماهير عبر الفضائيات، ويخاطب الناس عبر شبكة الإنترنت، كما يخطب فيهم من على منبر الجامع أو يحاضر فى جامعة أو يحاور فى ندوة، أو يكتب لهم أكثر من مئة كتاب، حتى أصبحت فتواه مطلباً جماهيرياً عالمياً من شمال الأرض إلى جنوبها، ومن مشرقها إلى مغربها.

إنه فضيلة الشيخ العلامة د. يوسف القرضاوى ابن (صفط تراب) بمحافظة الغربية، الذى اتخذ من قطر مستقراً له منذ ما يقارب أربعين عاماً، ومع ذلك فإن مصر لا تغيب عنه فهى قلب العالم الإسلامى.

اعتبره المفكرون والدعاة والفقهاء رائداً لتيار متميز هو تيار الوسطية الإسلامية فهو مشروعه الحضارى الذى يأتلف كل أعماله، حيث يقوم هذا المشروع على التيسير فى الفتوى والتبشير فى الدعوة، والتجديد للدين والنهوض بالدنيا، واستلهام التراث والانفتاح على العصر، والحوار مع الآخرين والتسامح مع المخالفين، والجمع بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، وتقديم الإسلام رسالة حضارية متكاملة متوازية، لبعث الأمة وتوحيدها تحت راية القرآن، ودعوة البشرية بالحسنى إلى هداية الإسلام.

إن خطابه الجماهيرى خطاب مستقل، رغم اعترافه بأساتذته وذكره لفضلهم إلا أنه لا يشابه أحداً ولم يقلد اتجاهاً، فمنذ البدء كان مستقلاً. ومنذ أن عرفه العالم الإسلامى بدءاً بكتابه الأشهر (الحلال والحرام فى الإسلام) وهو يبدو ذلك العالم الذى لا يتحدث عن نفسه، ولا يعرف أحد عنه شيئاً سوى بعض أفراد جيله الذين دخلوا فى عقد الثمانينيات.

فى هذه الصفحات نحاول الدخول إلى عالم د. يوسف القرضاوى (عبر الحوار): نسأله ويجيب، محاولين إلقاء الضوء على أكثر من عِالَم داخل فقيه العصر.

ولا يخفى على مثقف مهتم بشؤون الفكر أن طروحات العلامة القرضاوى لم تقتصر على فرع دون آخر، بل إن منهجه الوسطى قد أدى به للدخول إلى كل جوانب المعرفة ليدلى فيها برؤيته ويحدد – عبر فقه الأولويات – كيف يمكن للمسلمين اليوم أن يأخذوا من تلك

المعرفة وما يدَعُوا ؟ .. هل يمكننا اعتبار تلك الموسوعية – كما سوف نرى من خلال هذه الصفحات – ظاهرة قَلَّ وجودها فى حقل المعرفة المعاصر ؟ خاصة حين مالت تلك المعرفة لفرض جزئيات العلوم لتصبح هى مهمة صاحبها لا يتعداها، كما كان علماء الأمة فى الماضى أصحاب معارف عدة ؟

وإذا كان هذا هو شأن العلامة القرضاوى؛ فإن فلسفة التكوين التى صاغت منه نموذجاً فريداً لابد أن تشغل الكثيرين، خاصة حين افتقد بعض علماء الإسلام صورتهم المضيئة، وصار بعضهم بوقاً للسلطان. أو حين أصبح بعضهم لا همَّ له سوى اعتناق الشدة، وإغلاق المباحات حُبّاً فى فقه الأحوط .. ولذا فإن فطرة النشأة، وفلسفة التكوين قد شغلتنا فى هذه الحوارات، وانتهى بنا الأمر إلى تقرير أمرين هامين هما: الأزهر الشريف بتاريخه العريق، وجماعة الإخوان المسلمين بتاريخها المشرق وحملها لعبء وحدة الأمة، كانا مكوّنين أساسيين فى فلسفة التكوين لدى العلامة القرضاوى.

لكنه من الحق أن نقرر أن كلا المؤثرين لم يستطع أن يحوز ويستأثر على الرجل كل الاستئثار حتى يتملكه .. فالأزهر أثّر تأثيراً كبيراً ولكنه لم يحمل أى سلبية تكون قد لحقت بهذه الجامعة العظيمة من أحداث، أو تمذهب عصبى يؤدى أحياناً إلى ألاّ يصلى صاحب مذهب وراء إمام على مذهب آخر .. كما أن جماعة الإخوان المسلمين، وإن كان الشيخ يعتز بها وبتاريخه معها، وكتب كتاباً خاصاً عنها، وتأخذ هى بكتبه وتتبنى أدبيات طرحه، فلا يمكننا أن نعتبر القرضاوى ملكاً أو عضواً فى هذه الجماعة، إنه ملك للأمة الإسلامية التى منحته ثقتها فى كل مكان من العالم، فلا توجد جالية إسلامية – تقريباً – إلا وبينها وبين القرضاوى صلة سواء زارها أو هاتفوه، أو استمعوا إليه، أو وصلت كتبه إليهم بالعربية أو مترجمة إلى لغتهم .. فكيف ينحصر الرجل فى أى إطار بعد ذلك ؟ خاصة واغلب تيارات الفكر الإسلامى المعاصر وفرقه تعطى ثقتها فى الرجل، مع تحفظ هؤلاء الذين ينتسبون للسلف الصالح (السلفيين)، حيث ألفوا كتباً بعضها ناقش بأدب والآخر سبَّه بقلة أدب!.

ويمكننا القول بأن هذه الحوارات التى سجَّلت ذكريات العلامة القرضاوى هى جزء أول لمشروع كبير آمل أن يرى النور تباعاً، بدأته منذ عشر سنوات، رصدت فيه ذكريات الشيخ الجليل، وتوزعت عبر محاور مختلفة يمكن من خلالها أن نضع صورة حقيقية للقرضاوى من خلال فن الحوار.

❖ ❖ ❖